اللغات الاصطناعية بين النظرية والتعليم

مرية تونسي

باحثة من الجزائر

تولد اللغة وهي تحمل في طيّاتها عوامل نمّوها وتطورها، ولغة لا تنمو، لا تكتب لها الحياة، وهي، كما قيل، كالكائنات الحية، تولد ضعيفة ثمّ تترعرع، وتشّب وتبلغ أوّج عنفوانها، ثمّ تدّب إليها الشيخوخة والهرم، فإمّا أن تموت، وإمّا أن تتوافر لها الأسباب لتعود فتّية قوية، ويكتب لها النماء والازدهار مرة أخرى[1] .

إنّ اللغة وضع واصطلاح ثمّ نمو وتطور، ويخضع هذا الأخير إلى عوامل ذاتية نابعة من اللغة نفسها، وأخرى خارجية تختص بالبيئة المحيطة باللغة[2]، وبهذا فإنه يمكن لأيّ جماعة كانت، وفي أيّ زمن كان، الاصطلاح على إنشاء لغة معينة (لغة اصطناعية)، "فقوانين اللغة العامة واحدة في كلّ زمان ومكان، وهي –أي اللغة– آخذة في التطور جيلاً بعد جيل، ومن تطورها حدوث التباين اللهجي المستمر[3].

إلاّ أنّه يُشترط في الجماعة المصطنعة للغة تداولها باستمرار إذ أنّ "أكثر اللغات عرضة للتفكك هي اللغات التي تملك تاريخًا متصلاً في حين أنّ الأفراد والجماعات الذين يملكونها لا يتواصلون بها"[4]، "فاللغة كما هو معروف، ليست كائنًا بنفسها، وإنّما يحييها الاستعمال المتكرر والتفاعل المتبادل بينها وبين متكلميها، ويميتها الإهمال أو التنكر لها لأي سبب من الأسباب. واعتمادًا على هذا، يمكن باختصار تعريف اللغة الاصطناعية بأنها:

لغة اخترعها شخص أو مجموعة من الأشخاص، بقصد أن تشابه اللغات الطبيعية، وتختلف اللغات الاصطناعية الممنهجة عن أنواع أخرى من اللغات الصناعية مثل اللغات الشكلية ولغات البرمجة، بأنّها تخصص للتداول بين الناس في كافة مجالات الحياة[5] .

ظهرت فكرة اللغات الاصطناعية في القرن التاسع عشر بمجموعة من المحاولات، ولكن الفكرة تجّلت بقوة في القرن العشرين في محاولة جيست بيانو عام 1903، ومحاولة أوتو يسبرسن 1928، هذا لأغراض اتصّالية عالمية، ولذا أطلق عليها بعض الباحثين مصطلح (اللغات العالمية)، والمهم هي لغات غير طبيعية تطمح لأن تكون لغات العالم في ما يُستقبل من الزمان قبل ظهور لغة الحواسيب، والهدف منها تكوين حالات نحوية ولغوية بسيطة وسهلة الحفظ، خاصة بافتقارها للوضوح كهذه الوظائف الأساسية"[12].

قُطعت العديد من الطرق باتجاه لغة مساعدة دولية ابتداءً من أحلام فرنسيس لوديك (1619–1694)، توماس إيركهارت (1611–1660)، جون ويلكينز (1614–1672)، أو جورج دالغارنو (1626–1687)". إلى مساعي ديكارت الذي يعتبر مؤسس اللغة العالمية المساعدة، في رسالة إلى بيرميرسين 1629 يوضح فيها مقترحاته حول لغات لاحقة موجودة مبسطة ولغات أولية أيضًا، وذلك اقتراح رحبت به الأوساط الأكاديمية في الوقت الذي أدى فيه انحسار اللاتينية ونشوء اللغات القومية إلى جعل التواصل الأكاديمي بين العلماء من الأمم الأوربية المختلفة أمرا يزداد صعوبة.

إلّا أنّ أيًا من هذه المجهودات لم تلق صداها ولم تجد ضالتها المنشودة في توحيد ألسنة العالم حتى ظهور ما يسّمى بلغة الفولابيك. ثم تلتها لغة: لانجابلو، بالتا، الإسبرانتو ثم الإيدو فالإسبرانتيدو، وبعدها لينغوا، الانترلينغوا وغيرهم كثير، وتعتبر الفولابيك، الإسبرانتو، الانترلينغوا الأشهر على الإطلاق، لذا سنحصر التفصيل على هذه الثلاثية اللغوية.

–الفولابيك –volapuk:هي أوّل لغة مصطنعة، ابتكرها القس الألماني جوهان مارتن شيلر 1879، وتعتبر أقدم لغة مساعدة دولية مع بداية الألفية الثالثة، وفي الواقع هي بداية حركة اللغات العالمية المساعدة، كما هو معروف لدينا اليوم. وصممت الفولابيك كي تُستخدم كوسيلة اتصال بين الأشخاص ذوي اللغات الأصلية المختلفة. وقد هدف مصممها إلى: أوّلاً، انتاج لغة قادرة على التعبير عن الأفكار والمقاصد بكل وضوح ودقة، ثانيًا، جعل اكتسابها أسهل مما يمكن لأكبر عدد من الكائنات البشرية.

وتتكون الفولابيك من 27 حرفًا (8 حركات و19 حرفًا ساكنًا)، وهي مزيج من اللغة: الفرنسية، الألمانية، الإنجليزية واللاتينية بشكل رئيسي، لذلك فإنّ معجمها مشتق من هذه اللغات من خلال عمليات منتظمة وأخرى عشوائية [على سبيل المثال:"vola" من الإنجليزية "world" (العالمَ) وَ "puk" من"speak" (يتكلم)]، في حين تمّ ابتكار مفردات أخرى، وخاصة الجذوع المقيدة للكلمات مثل"–Inhabitant" .".of–"، "el"، بمعنى "قاطن كذا"، وكما في "parisian" بمعنى "باريسي"parisel" ، أو"–af" بمعنى حيوان.

–الإسبرانتو–Esperanto: هي الأخرى لغة مصطنعة ابتكرها رجل يطلق على نفسه اسم (دكتور إسبرانتو)، وهو اسم يأتي من كلمة إسبانية معناها "الأصل"[13] .

ودكتور إسبرانتو هذا هو لودفيغ زامينهوف "Ludwing Zamenhof"، طبيب عيون بولندي (1859–1917)، وتعتبر الإسبرانتو مزيجًا من اللغات الإسبانية، الإيطالية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية.

شهدت 1887 صدور أوّل طبعة للإسبرانتو وتلتها عام 1894 الطبعة الثانية، متضمنة بعض الاقتراحات بالإضافة من طرف مصممها وآخرين.

كان انتشار الإسبرانتو أبطأ من انتشار الفولابيك لكّنه أكثر ثباتًا، ويكمن سر نجاحها في مرونتها وبنيتها القواعدية الأكثر سهولة، (فهي أقل تأليفية/تركيبية بكثير من لغة فولابيك)، وربّما الاضطهاد السياسي في كل من روسيا القيصرية وألمانيا النازية اللّتين أعطتا لغة الإسبرانتو مكانة اللغة التحررية التقدمية المضّادة للأنظمة القائمة، حيث أنّ ظهورها تزامن مع الحرب العالمية الثانية، "فقد جُربت خلال هذه الحرب بين جنود الحلفاء مستعملين إيّاها بغرض التواصل، وقد لقبت هذه اللغة بالعالمية كونها تحمل أصوات كل اللغات الطبيعية، وبخاصة اللغات الأوربية...وقد نالت نوعًا من الرضا لدى بعض الخاصة كونها تتوفر على 56 صوتًا جامعًا لمعظم أصوات اللغات البشرية"[14] . كما أنّها تتألف من 900 كلمة و16 قاعدة نحوية[15] .

– الانترلينغوا –Interlingua– "اللاتينية دون تصريف": هي أيضًا لغة مساعدة دولية مخصصة لتسهيل التواصل العالمي، استلهمت مفرداتها من الألفاظ الشهيرة في اللغة الإسبانية/البرتغالية، الإنجليزية، الإيطالية والفرنسية. تتميز قواعدها بالبساطة الشديدة، وهي أقرب شبها لقواعد اللغة الإنجليزية من قواعد اللغات اللاتينية الجديدة[16] .

بدأ إحداث الانترلينغوا من طرف المنظمة العالمية سنة 1924، وتمّ إتمامها سنة 1951. ومن بين المساهمين الرئيسيين في إحداث هذه اللغة ألكسندر غود، وهو أيضًا مؤلف كتاب نحو خاص، معجم انترلينغوا–إنجليزي، وكتاب تقديمي للغة الانترليغوا اسمه"Interlingua a prime vista"، وتم الإسهام أيضًا من طرف: أوتو يسبرسن، إدوارد سابير، أندريه مارتيني وكلارك ستيلمان الذي قام بنشر اللغة مع ألكسندر غود[17] .

> ظهرت فكرة اللغات الاصطناعية في القرن التاسع عشر بمجموعة من المحاولات، ولكن الفكرة تجّلت بقوة في القرن العشرين في محاولة جيست بيانو عام 1903، ومحاولة أوتو يسبرسن 1928، هذا لأغراض اتصّالية عالمية، ولذا أطلق عليها بعض الباحثين مصطلح (اللغات العالمية)، والمهم هي لغات غير طبيعية تطمح لأن تكون لغة عالم في ما يُستقبل من الزمان قبل ظهور لغة الحواسيب، والهدف منها تكوين حالات نحوية ولغوية بسيطة وسهلة الحفظ.

يرى الباحثون أنّ محاولات اصطناع لغة بلغت 1000 محاولة عبر التاريخ، وتعتبر الانترلينغوا من بين المحاولات الأنجح بعد الإسبرانتو، فهما الوحيدتان اللتان بقيتا على قيد الحياة بعد مرور أكثر من نصف قرن من الزمان، ومع هذا فقد اتّسم نجاحها بالنسبية، وذلك لقلة المتلاغين بها، فقد حصرهم المهتمون بالشأن اللغوي، خاصة الانترلينغوي، في 1500 متحدث، عكس الإسبرانتو التي سبق وأن أشرنا أنه، يتم تداولها في 120 دولة عبر أنحاء العالم، بعدد متلاغين يفوق مليوني شخص.

إنّ مسألة تعليم اللغات الاصطناعية هي مسألة تدريب مستمر على نطق أصواتها، وعلى الإحاطة بصيغها، وما يكون ضروريًا من مفرداتها، وعلى معرفة طرق صيغ جملها المفيدة، على غرار التدريب الذي يقوم به الراغبون في اكتساب العادات[18]، كما أنّ هذا النوع من اللغات يجب تعلمه على أساس الأهمية الوظيفية في الحياة، وذلك ليدرك المتعلم أنه يتعلم شيئا يحتاج إليه في حياته[19]. فلا فائدة من تعلم أي مادة إذا لم يكن لها نفع اجتماعي وفائدة للناشئ في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه، ومادامت اللغة وسيلة اتصّال بين الأفراد والجماعات، فإنّ لها وظيفة تؤديها في تسهيل عمليات الاتصّال ونقل الفكر والتعبير عن النفس.[20]

ولأنّ اللغة الاصطناعية تسعى لأن تكون لغة حية، تلعب دور الجهاز العصبي للمجتمع العالمي أو دور الشبكة التليفونية التي يتخاطب ويتفاهم بها أفراده، وعجزها عن تأدية هذا التخاطب والتفاهم يعني أنّها لغة خرساء[21]. فإنّ أنصار الإسبرانتو باعتبارها الأشهر، يرون أنها لغة حية، مستخدمة في كل ما يمكن استخدامه باللغات الأخرى، وتعلمها أسهل بكثير من تعلم بقية اللغات، فحتّى الأشخاص الذين لا يستطيعون تذكر كلمة واحدة من اللغات التي تعلموها في المدرسة أو الجامعة يحتاجون فقط بضعة شهور من الدراسة المركزة لكي يجيدوا الإسبرنتو بطلاقة، كما أنّها أكثر فائدة من اللغات الوطنية إذ أنّ الهدف من تعلم أي لغة هو التعرف على أناس من أماكن شتّى لهذا تقريبا جميع من يتكلم الإسبرانتو تعلمها لهذا السبب[22] .

ومعلوم أنّ الانترلينغوا هي الأخرى إنّما اصطنعت لتحقيق التواصل العالمي، والذي "يرّكز على كونه تبليغ رسالة شفوية أو خطية أو معلومات أو آراء عن طريق الكلام المنطوق أو المكتوب"[23] . إلّا أنّها فشلت في ذلك وفشل غرض تعليمها لسببين:

– من الصعب إصلاح الوضع اللغوي العالمي فجأة، وإدراج لغة وليدة اللحظة لتحكم العرش اللغوي، وتنفي ما سبقها من آلاف اللغات الأم، "ثمّ إنّه على كل من يحاول إصلاحًا لغويًا أن يعمد قبل كل شيء إلى دراسة حياة اللغة، ومناهج تطورها، وما تخضع له في حياتها من قوانين، حتى يتميز له الممكن من المستحيل، ويستبين له ما يتفق مع السنن الكونية وما يتنافر مع طبيعة الأشياء، وحتى تأتي إصلاحاته مسايرة لهذه الطبيعة، فتؤتي أكلها وتكلل بالنجاح "[24].

–أنّه يصعب استعمال الانترلينغوا في الخطاب العالمي وهي بعيدة كل البعد عن ألسنة أغلب الشعوب غير الأوربية، و"تعلم المهارات اللغوية خارج الخطاب يجعلها معزولة وبعيدة عن الإدراك بل يصعب توظيفها في السياقات المختلفة، في التعبير عن الأفكار والأحاسيس والمشاعر، وبهذه الطريقة تتسع الهوة بين اللغة ومجالات استعمالها"[25] .

وعلى هذا الأساس ينبغي أن نفّرق من البداية بين تعلم لغة لتأدية حاجة ملحة وبين تعلمها لغرض الاستخدام المناسب الفعّال، في حالات اجتماعية يعايشها المتعلم كثيرًا أو قليلاً[26]. وكان من الممكن خلق مجتمع عالمي يعايش الانترلينغوا قليلا، بحيث يتّم إدراج تعليمها كلغة أجنبية ثانية في جّل المدارس العالمية تحت البنود الآتية:

–الوعي بقواعد الانترلينغوا ومعرفتها، ومن هذه الزاوية ينبغي تعليم التلميذ قواعد استعمال هذه اللغة في المجتمع، وتطوير كفاءته اللغوية التواصلية، أي إكسابه المعرفة الضمنية بقواعد التواصل اللغوي في المجتمع، التي تفسر قدرة الإنسان على استعمال هذه اللغة في ظروف التواصل المختلفة القائمة في بيئته الاجتماعية[27] .

–أن تُعلم الانترلينغوا بطريقة رسمية مريحة، "حيث ينبغي إعطاء الغاية اللازمة للسياق التعليمي حتى يجد المتعلم نفسه مجبرًا على ألسنة أغلب الشعوب غير الحال، فمثلاً هذا التعليم لا يوجد إلا لطلبة كبار هم في حاجة إلى تحقيق هدف آني وطارئ، وهم ليسوا بحاجة إلى لغة تواصل شفهية"[28] .

– يتّم تعليم الانترلينغوا في المدارس العمومية أو الخصوصية، "أي في بيئة غير تلك التي يتّم التحدث بها يوميًا وبشكل مقصود وهادف، ويحدث بطريقة منظمة من خلال برنامج دراسي رسمي يتدرج حسب مراحل نمو الفرد، من البسيط إلى المعقد ومن السهل إلى الصعب"[29].

وخلاصة القول أنّ كّل اللغات بحاجة دائمة إلى العناية والدراسة والمتابعة[30]، ولأنّ اللغات الاصطناعية محرومة من الخصائص الأساسية للغة الحقيقية[31] فإنّ مآلها الانقراض32. "فاللغة التي تعيش الصراع أو تعجز عن التطور بفقدانها القدرة على مسايرة العصور والأجيال التي تنطلق بها لأسباب تاريخية أو سياسية كثيرًا ما تذبل وتختفي ولا يبقى منها سوى ما تخلفه من تاريخها"[33].

الهوامش والإحالات:

(1) عبدالله بن حمد العويشق، منهج فقه اللغة، المستوى الثامن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط3، 1423هـ، ص6.
(2) المرجع نفسه، ص7.
(3) قاصد ياسر الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003، ص38.
(4) هيثم سرحان، تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية، غياب التخطيط واختلال السياسات، مجلة الكوفة، ع3، 2013، ص61.
http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title 11.أفريل2015.16.25 (old1 &تعصصلتمة5)
(6) صالح بلعيد، علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط2، 2011، ص28.
(7) رابح بوحوش، اللسانيات وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والتكنولوجية، مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 2، 2006، ص77.
(8) لطفي بوقربة، محاضرات في اللسانيات التطبيقية، معهد الأدب العربي والعلوم الإنسانية، جامعة بشار، 2002–2003، ص65.
(9) بتصرف، رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص100.
(10) بتصرف، أحمد عبدالرحمن حمّاد، عوامل التطور اللغوي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، ص9.
(11) فاردينانذ دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، 1985، ص232.
(12) "It is the purpose of this international auxiliary language. and wether the explicit and tacit requirements can be better satisfied by a constructed language or by a national language. including some simplified version of it. I believe that much of the difficulty in the international language question lies precisely in lack of clarity as these fundamental functions
Sapir E. The Function of an International Auxiliary Language. H.N. Shenton. E.Sapir and O.jesperson. International communication. A symposium on the Language Problem. London. GB. 1931. p 27
(13) عامر العظم، الاسبرانتو أوسع اللغات الاصطناعية انتشارا، جريدة عكاظ، الاثنين 26 شوال 1415هـ/27 مارس 1995، ص34.
(14) بتصرف، صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، 2009، ص216.
(15) لطفي بوقربة، محاضرات في اللسانيات التطبيقية، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد الأدب العربي والعلوم الإنسانية، جامعة بشار، 2002–2003، ص67.
(16)Interlingua is an auxiliary language. built from the common vocabulary of Spanish/Portuguese. English. Italian and French. with some normalization of spelling. The grammar is very easy. more similar to English's than to Neo–Latin languages
http://www.interlingua.com 18 juillet 2016. 19 :23
(17) http://www.wikiwand.com/ar 201616.16.26 /02/.
(18) بتصرف، تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط4، 2000، ص76.
(19) بتصرف، جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1986، ص20.
(20) أحمد عبده العوض، مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000/ 1420هـ، ص77.
(21) بتصرف، عبدالرحمن عائشة، لغتنا والحياة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1979، ص112.
(22)Esperanto is a living language. used for everything people use any other language for . it's much easier to learn than a national language . Even people who can't remember a word of a language they studied for years in high school or college need only months of intensive study to become fluent in Esperanto. It is also more useful than national languages if your goal in learning a language is to get to know people from different places. since virtually everyone who speaks Esperanto has learned it for this reason."
http://esperanto–afriko.webs.com/kurso%20angle.pdf 28 juillet 2016. 19 :45.
(23) منير بعلبكي، المورد: قاموس إنجليزي–عربي، دار الرسالة، بيروت، لبنان، 1975، ص224.
(24) علي عبدالواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1971، ص198.
(25) خالد بوزياني، من أجل تخطيط لغوي أفضل لتعليمية اللغة العربية في الوطن العربي، المؤتمر الدولي للغة العربية، العربية لغة عالمية مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة، بيروت، لبنان، ص17.
(26) شريف بوشحدان، لغة وظيفية أم تعليم وظيفي؟، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الثالث، أكتوبر 2002، ص139.
(27) بتصرف، محمد العيد رتيمة، تعليم اللغة العربية، الأسس والإجراءات، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2001–2002، ص10.
(28) شريف بوشحدان، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(29) خالد عبدالسلام، دور اللغة الأم في تعلم اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية بالمدرسة الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم، تخصص أرطفونيا، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2012، ص39.
(30) صالح بلعيد، بزع بالحاكم ما لا بزع بالعالم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص63.
(31) ـــــــــــــ، في المسألة الأمازيغية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دت)، ص195.
(32) ـــــــــــــ، اللغة الجامعة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015، ص204.
(33) عز الدين صحراوي، اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جوان 2009، ص6.

الوجه الخفي لغابرييل ماركيز

المحرر الثقافي

يعشق الفرنسيون مؤلف رواية "مائة عام من العزلة". لكن القليل من يعرف مناطق الظل التي كشفت عنها سيرة رائعة بعنوان "حياة غابرييل غارسيا ماركيز" للكاتب جيرالد مارتن والتي تطلبت منه سبع عشرة سنة من العمل لإنجازها.

"هناك حياة عامة، حياة خاصة وحياة سرية" كما قال الشاعر ألفارو موتيس ذات يوم بخصوص غابرييل غارسيا ماركيز. لقد تسلى الكاتب الكولومبي لمدة طويلة بخداع عالمه وهدايته في الآن نفسه، كما تسلى بالمبالغة في وصف واقع يصعب تصديقه بالفعل عن طريق أساليب ساخرة شبيهة بالحقيقة الجارحة.

على سبيل المثال: حصول غارسيا ماركيز على جائزة نوبل للآداب سنة 1982 أثر سلبًا على حياته في بادئ الأمر كصحفي لامع، بعد ذلك، خاض غارسيا ماركيز تجربة كتابة السيناريو وأصبح مختص بنشر الإعلانات، و"وسيط" سياسي، كاتب مسرحي عديم الموهبة في هذا المجال، راعي الأدب والفنون، مؤسس مدرسة للسينما في كوبا ومعهد للصحافة في قرطاجنة. سافر غارسيا ماركيز في أنحاء العالم في وقت لم يكن فيه السفر أمرًا سهلاً، كان هذا السفر غنيمة حقيقية لصحفي مفلس لا يتكلم الإنجليزية. شكلت هنغاريا الشيوعية وباريس اللاتينية وحدهم محطات مؤثرة في حياته: هنغاريا التي عُرفت بالفقر المدقع الذي علم غارسيا بوجوده في هذا البلد وباريس التي أثارت إعجاب سذاجة صحفي معجب بنمط الحياة القائم في هذه المدينة.

بكل تأكيد لم يقم غابرييل غارسيا ماركيز باختراع أي شيء في رواياته، بل استلهم كل شيء من محيطه. قرية ماكوندو موجودة بالفعل! قرية الحكايات الرائعة في رواية "مائة عام من العزلة" التي انتهت بشكل مثير للرثاء، هذه القرية هي أرض قريبة من أراكاتكا، المدينة التي ولد فيها غارسيا ماركيز عام 1927. هذه المدينة التي توجد في شمال منطقة الكاريبي لبلد غارسيا ماركيز، يُعرف هذا المكان كمنطقة لزراعة الفواكه كانت تديرها شركة أمريكية، حيث قتل الآلاف من العمال بعد إضراب عام. تربى غارسيا ماركيز في هذه المنطقة على يد جده (الكولونيل الساحر). ثم بعد ذلك استعاده والديه (على شاكلة رواية "الحب في زمن الكوليرا") للانتقال، مع إخوانه وأخواته العشر، إلى محافظة قرطاجنة إرضاء للمشاريع الصيدلية الكارثية للأب. هذا الأب الوقح الذي عجز عن معالجة ابنه حين كان مراهقًا يعاني من نوبات القلق والفصام... إن العالم الأدبي لغابرييل غارسيا ماركيز حاضر بكامله في محيطه منذ طفولته: بيئة اجتماعية قاسية، سحر السلطة، عائلة مهووسة بالشعوذة والضحك، النساء والخوف من الموت.

يتبع غارسيا ماركيز هذه النصيحة في سيرته الذاتية "عشت لأروي" حيث وقّف نشاطه الصحفي في بدايته وكرس حياته لموهبته الأدبية في الكتابة. لا يمتلك جيرالد مارتن للأسف الأسلوب الملتهب لماركيز، لكن سيرته لا يمكن اعتبارها فقط مجرد تحية وإشادة بماركيز. إذا كانت السيرة المعنونة بـ"حياة غابرييل غارسيا ماركيز" لجيرالد مارتن قد أزالت الكثير من الغموض، فإنها قدمت أيضًا الكثير من المعلومات حول السياق السياسي الكولومبي والدولي من سنة 1940 إلى سنة 2000. ارتبطت طبعًا حياة الكاتب غارسيا ماركيز بشكل وثيق بهذا السياق.

أولاً، فبفضل برنامج اجتماعي للسياسة التقدمية في كولومبيا في الأربعينيات، استطاع التلميذ غارسيا ماركيز من التوجه إلى الإعدادية والحصول بعد ذلك على الباكلوريا. بدون هذه المنحة ما كان غارسيا ماركيز سيستطيع إتمام دراسته ولا أن تتفتح موهبته الأدبية ككاتب. ثم جاء بعد ذلك زمن الثورات والاشتراكية في أمريكا اللاتينية، علاقة غارسيا ماركيز مع الشخصيات النافذة فرنسوا ميتران، ملك اسبانيا، عائلة كلينتون وعلاقته أيضًا بفيديل كاسترو. صداقة غارسيا ماركيز مع الكوبي ليدر ماكسيمو، التي ولدت في ديسمبر 1960 بفضل محادثة حول كمية الدجاج التي يتناولها السكان في كوبا، لم تفشل أبدًا رغم الجدل والانتقادات والمشاكل. قامت مصالح الاستخبارات المكسيكية بالتجسس على غارسيا ماركيز بين عامي 1967 و1985 بعدما اعتبرته وكيل دعاية لصالح إدارة الاستخبارات الكوبية وقامت الولايات المتحدة بمنعه من دخول أراضيها لمدة طويلة. بعيدًا عن نزعة الحقد والضغينة، يُعد هذا الكاتب البارز ورمز الواقعية السحرية، من الكتاب الأوائل رفقة كارلوس فوينتس وخوليو كورتازار الذين منحوا أمريكا اللاتينية هوية أدبية كاملة العضوية. عاش غارسيا ماركيز في المكسيك مع زوجته مرسيدس التي (خداع مرة أخرى) وسمها حين كانت تبلغ من العمر 8 سنوات. لديهم عشرات المنازل– ليست كبيرة جدًا– وذلك لتجنب الأشباح.

ونحن ننهي هذه المقالة، نجهل دومًا نوع العلاقة التي يقيمها غارسيا ماركيز مع ابنيه الاثنين ولا نعرف مطلقًا رؤيته للمرأة، نود أن نعرف لماذا لم يقم المخرج كوراساوا باقتباس روايته "خريف البطريرك" وتصويرها في فيلم، لكن الشيء الوحيد والمؤكد كما يقول طوماس بينشون بخصوص غابرييل غارسيا ماركيز: "آه! اللعنة، إنه يكتب بطريقة رائعة!".